

الأردنية لسان الدعوة والأدب الاسلامي

فى شبه القارة الهندية

☆ دكتور حازم محمد احمد محفوظ

شرفت شبه القارة الهندية .. التى تضم اليوم ثلاث دول ذات سيادة
هى باكستان وبنجلاديش والهند __ أول ما شرفت بتنفس صبح الاسلام
وذلك فى ثغورها الجنوبية ' على عهد امير المؤمنين الامام "على بن ابي
طالب" __ رضى الله عنه __ ذلك ان "الحارث بن مرة العبدى" ارتحل
طواعية باذن من الامام "على" الى منطقة القيقان __ من بلاد السند
جنوب باكستان اليوم __ وذلك فى الاواخر من عام ثمانية وثلاثين واول
عام تسعة وثلاثين من الهجرة ' فكان له النصر المبين .

وفى العاشر من رمضان العظيم عام اثنين وتسعين للهجرة __ على
عهد الوليد بن عبد الملك الاموى __ توجه اول جيش عربى نظامى الى
شبه القارة الهندية لفتح اقليم السند ' تحت امره قائد له الشهرة من قادة
العرب هو "محمد بن القاسم الثقفى" وهو فى صدر شبابه فما تجاوز
السابعة عشرة ' واستطاع فى مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات أن يفتح هذا

مدارس الاردنية وآدابها كلية اللغات والترجمة جامعة الازهر

الاقليم المترامى الأطراف ' ونشر دين الله بين الهندوس وعند هذا الحد

توقفت فتوحات العرب في شبه القارة الهندية ، وتعاقبت قرون ثلاثة على ذلك .

وانعقد عزم المجاهد الكبير السلطان " محمد الغزنوى " (٣٥٧__٤٢١هـ) ملك غزنة وبلاد الافغان ومؤسس الدولة الغزنوية الاسلامية في شمال شبه القارة الهندية __ على فتح اقاليم شمال شبه القارة الهندية ، فتحقق ما رغب فيه بعد سبعة وعشرين عاماً من الفتوح ، وذلك بين عام ٣٩١ وعام ٤١٧هـ . وما فتح هذا السلطان من تلك الاقاليم فهو ما يشكل اليوم دولة باكستان ، وهى اقليم الحدود والبنجاب وبلوجستان والسند ، وفيها رقت قلوب الهندوس لدين الله القويم .

وأوسع السلطان " معز الدين محمد الغورى " (٦٠٢هـ) __ سلطان بلاد الغور الأفغانية ومؤسس الدولة الغورية الاسلامية في شمال وشرق القارة الهندية __ في فتوحات المسلمين ، فاجتاحت جيوشه مدينة دهلى وغزت اقليم البنغال كله __ وهو دولة بنجلاديش __ وتعاقبت فتوحه ثلاثين عاماً ، الحق فيها هزائم بجيوش الهندوس ، وذلك بين عام ٥٧٠ وعام ٥٩٩هـ .

ويعد السلطان الشهير " علاء الدين الخلجى " الملقب باسكندر المسلمين (٧١٥هـ) __ وهو ثانى سلاطين دولة الخلجيين الأفغان في شبه القارة الهندية __ اول من دفع لواء الاسلام في جنوب شبه القارة الهندية ، وذلك بين عام ٦٨٩ وعام ٧١١هـ .

وبلغت الدولة الاسلامية ذروتها فى شبه القارة الهندية على عهد الملك الصوفى الزاهد "محمد اور نجريب عالمجير" (٢٧ ١٠ - ١١١٨ هـ) __ اعظم ملوك دولة المغول الاسلامية، وأشهر سلطان مسلم حكم شبه القارة الهندية على مر عصورها الاسلامية __ وقد وفقه الله الى اعادة فتح شبه القارة الهندية بتمامها فى نصف قرن من الزمان، فجعل تلك الدولة الاسلامية مرهوبة الجانب، وامتدادها من افغانستان و كشمير وحدود الصين شمالا الى سرى لانكا جنوبا، ومن نيبال شرقاً الى الخليج العربى غرباً.

هذا ولقد ايقن الهندوس منذ اللحظة الاولى، ان المسلمين يختلفون عن غيرهم من الفاتحين، اذ أنهم لم يكونوا طامعين فى مغنم، ولا متهافتين على مطامع دنيوية، ولا راغبين فى التخريب والتقتيل، بل كانوا __ وما يزالون __ دعاة رسالة انسانية، وأصحاب عقيدة سماوية، شاءوا ان يرفعوا راية الاسلام فى ربوع شبه القارة الهندية. فاخذ الهندوس يدخلون تحت راية الاسلام جماعات وجماعات، وسعوا __ الى جانب الحكومات الاسلامية ومشايخ الصوفية __ لتطبيع شبه القارة الهندية بالطابع الاسلامى.

وكانت العربية اللغة الرسمية فى اقليم السند ابان الحكم العربى، الذى دام ثلاثة قرون (٩٢ - ٣٩١ هـ) ولكن اتخذت الدول الاسلامية التى حكمت شبه القارة الهندية من بعد __ وهى الغزنوية (٣٩١ - ٥٧٠ هـ) والغورية (٥٧٠ - ٦٠٢ هـ) والمماليك (٦٠٢ - ٦٨٩ هـ) والخلجية (٦٨٩ - ٧١٥ هـ) والسادات (٧١٥ - ٧٥٠ هـ) اللغة الرسمية، والسادات

(٨١٧_٨٥٥هـ) واللودهية (٨٥٥_٩٣٢هـ) والمغولية (٩٣٢_١٢٧٢هـ) من الفارسية الاسلامية لغة رسمية لها ، لأنها كانت أوسع انتشاراً في المشرق ، واللغة الناطقة عن الحضارة الاسلامية ، كما كان الشغف بها لدى فاتحي شبه القارة الهندية ، بالنظر الى انهم جاؤوا وخالطوا الفرس .

واستوطنت جيوش المسلمين من بعد شبه القارة الهندية ، وقد تألفت لك الجيوش من قادة وجند وعلماء وأدباء وتجار من العرب والفرس والترك والأفغان والمغول ، وضمت من بعد كذلك قادة وجند من الهنود الذين أسلموا وحسن اسلامهم ، وارتحل كثير من قبائل العرب والعجم ، وكذلك علماء ورجالات الصوفية ، نحو شبه القارة الهندية ، واختلطوا بالسكان ، وتم بينهم التآلف والتواد ، وجد هؤلاء الرجال من مشايخ الصوفية وغيرهم من العلماء ، في نشر الاسلام ، كما اصهرت القبائل المهاجرة الى الهنود الذين دخلوا في دين الله أفواجا .

وعلى مر الزمان أثرت لغات الفاتحين خاصة العربية والفارسية والتركية ، تأثير عميقاً في لغات مدينة دهلي عاصمة الدول الاسلامية وما حولها ، وعلى التحديد لغة كهري بولي ، واسعة الانتشار . كما أثرت تلك اللغة ، وغيرها ، وفي لغات الفاتحين ، وأفضى الأمر الى امتزاج كل هذه اللغات في كيان واحد ، هو نشأة لغة اسلامية جديدة هي اللغة الأردية قبل ما يقرب من خمسمائة عام .

وظهرت بواكير تلك اللغة فى معسكرات الجيوش الاسلامية __ التى كانت تشبه الاحياء السكنية __ فى مدينة دهلى وضواحيها . واتسع انتشار اللغة الجديد مع الفتوحات الاسلامية المتعاقبة ، حتى عمت كل ربوع شبه القارة الهندية .

تتنمى لغة الاردية الاسلامية الى الأسرة اللغوية المعروفة بالأسرة الهندية الأوروبية ، ونعدهد مراحل تطورها على امتداد التاريخ ، كما سميت بأسماء مختلفة ، منها : " هندوستانى " و " دهلوى " و " دكنى " و " ريخته " و " اردو معلى " ، الى أن سميت أخيراً : " اردو زبان " أى لغة المعسكر ، نسبة الى معسكر المسلمين .

وتألفت من عناصر لغوية اسلامية و هندية متعددة ، فيقال بوجه عام انها مزيج من لغات خمس هى : العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية وكهرى بولى . وكان تاثرها بالعربية اظهر ما يكون ، ففيها من العربية خمسون بالمائة .

كتبت الاردية بالخط العربى الفارسى ، قبل أن يدخل المغول شبه القارة الهندية وتقام دولتهم المغولية الاسلامية (٩٣٢ _ ١٢٧٢هـ) ، كما وجدت فيها حروف مبتكرة عديمة النظير . وتتالف الاردية من واحد وخمسين حرفاً .

وكان بالاردية اهتمام ملحوظ فى الدولة المغولية الاسلامية ، وتطورت الى ما هو افضل بفضله .

الأخرى بعد الفارسية . و شاء الملك المغولي الشهير محمد شاهجهان (١٠٠٠-١٠٧٦هـ) _ باني مقبرة تاج محل _ أن يعلى من شان الاردية ، فشيد لها سوقا اطلق عليها: " اردو بازار " _ اى سوق الاردية _ على غرار سوق عكاظ عند العرب ، وذلك فى مدينة شاهجهان التى امر ببنائها الى جوار دهلى العاصمة ، وفرض على كل من يصلون هذه السوق من مختلف الاقاليم ، التحدث بالأردية . فكان هذا العمل الفريد فى شبه القارة الهندية سبباً فى رقيها وانتشارها النطاق الأوسع .

وبعد تطور الأردية وانتشارها ، ومواد جيل لغته الأم الأردية ، أخذ رجال التصوف على عاتقهم نشر الدعوة الاسلامية بين الهندوس بالأردية _ بدلاً من الفارسية _ وألفوا الكتب الدينية من أجل هذا الغرض النبيل ، وترجموا اليها العديد من كتب التراث الاسلامى . وظهرت بواكير هذه المؤلفات الدينية بالأردية فى القرن الثامن الهجرى ، نذكر منها رسالة معراج العاشقين للشيخ " خواجه بنده نواز سيد محمد كيسودراز ، (ت. ٢٥٠٠) ورسالة فى التصوف والأخلاق للشيخ " السيد اشرف جهانجير سمنانى " ، ورسائل كنز العلم للشيخ " عين الدين " . وساهمت هذه المؤلفات _ وغيرها _ الى جانب القدوة والحكمة والموعظة الحسنة والمناظرات الدينية ، وفى نشر الإسلام بالاردية بين الهندوس ، فضلاً عن تدعيم الوسطية وسماحة الإسلام بين المسلمين وغيرهم .

وبمرور الزمان تطوروا على أسلوب الكتابة عند اعلام الدعاة ، الى حد أن

هذا واتجه كثير من اهل التصوف _ من بعد _ الى النظم بالأردية الى جانب الفارسية، حيث يعود اليهم فضل المحاولات الأولى الجادة للنظم بالأردية . وكان هدفهم من نظم الشعر مذهبياً بحثاً ، كما هو شأن كتاباتهم النثرية . وخلف هؤلاء المؤلفين في العصر العثماني ، ديوانيين

احدهما بالفارسية والآخر بالأردية ، ومن هؤلاء... نذكر "خواجه مير درد
 الدهلوى النقشبندى (١١٣٣ - ١١٩٩هـ) رائد الشعر الاردى الصوفى .
 وحينما تمكن الانجليز من استعمار شبه القارة الهندية عام
 ١٢٧٢هـ / ١٨٥٧م ، ونفى الملك المغولى " بها در شاه ظفر " (١١٨٩هـ -
 ١٢٤٩هـ) آخر ملوك دولة المغول الاسلامية ، رأوا أن اللغة الفارسية تمثل
 أعظم خطر يهدد حكمهم _ نظراً لأها اللغة الرسمية الاولى لدولة المغول
 الاسلامية الذين اغتصبوا الحكم منها _ فعملوا على اقتلاعها من جذورها
 ولم يجدوا بداً من جعل الأردية اللغة الرسمية الثانية بعد الانجليزية ، فعاد
 هذا الاجراء بفائدة جد عظيمة على الأردية ، فافتحت جامعات وشيدت
 كليات وجمعيات أدبية حكومية ، منها جامعة بنجاب والكلية الحكومية
 وجمعية بنجاب الادبية فى مدينة لاهور ، وتوجهت الصحافة نحوها ،
 فصدرت مئات الصحف والمجلات لتتشر العلم المفيد بالأردية ، وتدعوا
 الى الاخذ بكل جديد مفيد لا يتعارض مع الشرع الحنيف من حضارة
 الغرب . ومن اشهر الرواد فى مجال الأدب والصحافة الأردية فى تلك
 الفترة ، مولانا محمد حسين آزاد الدهلوى ، والطاف حسين حالى ، وشبلى
 النعمانى .

وشهدت الأردية تطوراً بفضل ثلاثة أدباء شعراء عظام ، هم : مرزا اسد الله
 خان غالب (١٧٩٧ - ١٨٦٩م) واكبر آله آبادى (١٨٤٦ - ١٩٢١م) و
 محمد اقبال (١٨٧٧ - ١٩٣٨م) الذين اتفقا بالادب الاردى _ والشعر منه

خاصة _ الى نطاق العالمية .

والأردنية الاسلامية اليوم ' ثالثا كبر لغات العالم الاسلامي وأوسعها انتشاراً بعد العربية والفارسية ' وان كان عدد الناطقين بها يتجاوز عددهم في العربية والفارسية ' بالمتحدثون بالأردنية يزيدون عن ستمائة مليون نسمة ' فهي اللغة القومية في باكستان ' واحدى اللغات الأربعة عشرة المعترف بها في الدستور الهندي كلغات رسمية ووطنية ' وان كانت لغة التخاطب بين الغالبية العظمى من سكان الهند . ويتحدث بها أغلب سكان بنجلاديش ' وعدة ملايين في افغانستان ونيبال وبورما ودول الخليج العربي ' وبعض السكان من أصل هندي في دول جنوب وشرق افريقيا ' وعدة ملايين في انجلترا وكندا .

وتدرس الاردنية فى اغلب جامعات اوربا وامريكا واليابان وغيرها . اما فى العالم العربى فكان للازهر الشريف فضل السبق فى افتتاح أول قسم علمى متخصص للأردنية فى كلية اللغات والترجمة من جامعة الازهر ' وذلك فى العام الجامعى ١٩٧٩ / ١٩٨٠م ' ثم انشاء قسم آخر فى كلية الدراسات الانسانية (فرع البنات بالقاهرة) فى العام الجامعى ١٩٩٦ / ١٩٩٧م ' وتدرس كذلك جنباً الى جنب الفارسية والتركية فى أقسام اللغات الشرقية بكليات الآداب فى جامعات القاهرة وعين شمس والاسكندرية والمنصورة .

ولم يغفل الاعلام الادبى المصرى عن أهمية الأردية لذا كانت أول

الاذاعات الموجهة المبثة من القاهرة ' للغة الاردية وذلك فى عام ١٩٥٣م .
ان الاهتمام بالأردية فى مصر يتزايد على مر السنين ' وفى هذا من
الدليل على أن مصر الأزهر ' تعزز بلغات العالم الإسلامى الكبير ' تلك
اللغات التى يعود لها الفضل _ الى جانب العربية _ فى نشر الدعوة
الإسلامية والأدب الإسلامى العالمى فى كل بقاع المعمورة .